

ورع عبد الله بن عباس

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب بن إبراهيم من مشايخه يقال له: الدورقي في الظاهر قال: حدثنا ابن عليّ يعني: إسماعيل عن أيوب السخثياني عن ابن أبي مليكة أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، مع أن ابن عباس قد فتح الله تعالى عليه؛ ومع ذلك توقف في هذه الآية يقول: آية من القرآن لو سئلها أحدكم لتجراً، وقال فيها وأفتى فيها بما يراه، ومع ذلك توقف فيها ابن عباس . يقول: لو سئل عنها بعضكم، لقال فيها فأبى أن يقول فيها، هذا إسناد صحيح، ثم ذكر أيضاً عن أبي عبيد قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم وهو ابن عليّ عن أيوب عن ابن أبي مليكة سأل رجل ابن عباس عن قول الله تعالى: { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } فقال ابن عباس فما { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } ؟ فقال الرجل: إنما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم. ولا شك أن ظاهر السياق يدل على أنه يوم القيامة؛ لأن الله تعالى قال: { وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ } أي: ذلك اليوم الذي هو يوم القيامة، وقال أيضاً في سورة المعارج: { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَاصِرًا صَبْرًا جَمِيلًا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَتَرَاهُ قَرِيبًا } ؛ يعني: ذلك اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة، يستبعدونه ويطنون أنه لا يأتي، { وَتَرَاهُ قَرِيبًا } أي: نرى أنه قريب ونخبر بأنه قريب؛ يعني يأتي قريباً { إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ } . وقد تكلم العلماء على هذين اليومين؛ فمنهم من يقول: إن هذا الطول ذطول بحسب ما يقدره بعض الناس؛ يعني بعض الناس يكون هذا اليوم طويلاً عليه بحيث إنه يرى أنه قدر خمسين ألف سنة، وبعضهم يرى أنه قدر ألف سنة. وذكر بعض المفسرين -كصاحب الجلالين- أنه أخف على المؤمن من صلاة مكتوبة؛ يعني: لا يحس بطوله، قالوا: لأن أيام الحزن طوال وأيام الفرح قصار، بمعنى: أن الإنسان يستطيل اليوم الذي إذا كان فيه معذب، يستطيل انتهاء ذلك اليوم إذا كان مثلاً في سجن أو في عذاب فإنه يستطيل اليوم بل يستطيل الساعة، وتكون عنده كأنها أيام أو كأنها أشهر؛ بخلاف أيام الفرح وأيام السرور فإنهم يستقصرونها. ومع ذلك فإن الذي يمر به أيام فرح ثم يأتي بعده أيام حزن يتلاشى ما كان فيه، وما كان عرفه من أيام تلك الفرح ونحوها، ولو كانت سنوات ولهذا يقول بعضهم: مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم إنها شبه أنصاب فكيف بأن تلقى مسرة ساعة وراءك تقضيها مساءة أحقاب أما اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة؛ فلا شك أن ظاهر السياق يدل على أنه يوم القيامة، ويمكن أنه يوم قبل خلق السماوات والأرض . والله أعلم.